DE GAULLE (1890-1970)

الفصل السابع

مراحل مهمة في حياة ديجول

من ندائه الإذاعي الشهير للفرنسيين في ١٨ من يونيو/ حزيران ١٩٤٠، مرورا بقوات «فرنسا الحرة» والمستعمرات الفرنسية، تواريخ مهمة في حياة الجنرال الذي صار رمزا لفرنسا الحرة والمستقلة نتناول في هذا الفصل ... شارل ديجول. الجنرال شارل ديجول وشبهة العداء للولايات المتحدة

الجنرال شارل ديجول وشبهة العداء للولايات المتحدة

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ / ١٩٤٥: بعد معارضته لاتفاقية الهدنة التي وقعها الماريشال بيتان مع النازيين يرحل الجنرال شارل ديجول إلى لندن ومنها يوجه نداءه الإذاعي الشهير للفرنسيين في ١٨ من يونيو/ حزيران ١٩٤٠ يدعوهم فيه إلى مواصلة المعركة.

يعمل الجنرال على تنظيم قوات «فرنسا الحرة» انطلاقا من لندن ويبدأ بالتقرب من حركات المقاومة داخل فرنسا ويكلف جان مولان بتأسيس المجلس الوطني للمقاومة.

في ٢٥ من أغسطس/ آب ١٩٤٤ يدخل ديجول باريس التي حررتها من النازيين قوات الجنرال لوكليرك دخول الأبطال.

يكلف الجنرال ديجول برئاسة الحكومة ولكنه يستقيل من مهامه في ٢٠ من يناير/ كانون الثاني ١٩٤٦ إثر خلاف مع الأحزاب السياسية حول دستور الجمهورية الرابعة.

ينضم في ١٩٤٧ إلى المعارضة ويؤسس حزبا سياسيا «تجمع الشعب الفرنسي»وبعد هزيمة انتخابية في ١٩٥٣ ينسحب ديجول من الحياة السياسية.

دستور العام ١٩٥٨: عبور الجنرال للصحراء ينتهي في العام ٩٥٨ ١، فبعد تمرد ١٣ من مايو/ أيار في الجزائر يستدعي الرئيس رينيه كوتي ديجول الذي يكلف بتشكيل آخر حكومة في الجمهورية الرابعة، بعد أن اشترط صلاحات واسعة لمؤسسات الدولة. وقد مهد الدستور الجديد لولادة الجمهورية الخامسة الذي أقر في استفتاء شعبي. في ٢١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٨ انتخب شارل ديجول رئيسا للجمهورية وأعيد انتخابه بالاقتراع الشعبي المباشر في ١٩ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٥ في الدورة الثانية بعد منافسة مع غريمه السياسي فرنسوا ميتران.

الاستقلال وحرب الجزائر: في ٢٤ أغسطس/ آب ١٩٥٨ يطلق الجنرال شارل ديجول خلال زيارته إلى الكونغو برازفيل عملية إزالة الاستعمار ومنح 'لاستقلال لدول أفريقيا عبر تأسيس «مجموعة فرنسا – أفريقيا» وبعد أقل من سنتين وفي خضم الأزمة الجزائرية تنال الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية استقلالها. ويذكر التاريخ ديجول الذي وصل إلى السلطة بدعم مؤيدي« الجزائر فرنسية» بأنه من وضع حدا لحرب الجزائر وكرس استقلالها بعد توقيع معاهدات إيفيان في مارس/ آذار ١٩٦٢. وقد أشعلت هذه السياسة كراهية معارضي الجنرال الذين نظموا انقلابا عسكريا فاشلا وقيام منظمة مسلحة سرية بعمليات إرهابية. وقد نجا الجنر ل من محاولة اغتيال في العام ١٩٦٢.

مايو/ أيار ١٩٦٨: دخلت فرنسا في واحدة من الأزمات السياسية الأكثر حدة في تاريخها الحديث بدأت على شكل تحركات طلابية انضمت إليها بعد ذلك شرائح من العمال والموظفين شلت حركتهم الحياة في البلاد ووضعت السلطة في موقف لا تحسد عليه. في ٢٩ من مايو يختفي الرئيس الجنرال من قصر الرئاسة، يستقل مروحية ويذهب لملاقاة الجنرال ماسو في بادن في ألمانيا. يعود لجنرال في اليوم الثاني ويحل البرلمان. وتنظم في اليوم التالي مظاهرة حاشدة مؤيدة لديجول ولكن الشرخ في العلاقة بين الجنرال الذي يحكم منذ ١٠ سنوات وشعبه بات من الصعب إصلاحه.

الاستقالة : في ٢٧ من أبريل/ نيسان ١٩٦٩ يربط الجنرال ديجول مصيره السياسي

بنتيجة الاستفتاء الشعبي حول جملة من الإصلاحات التي اقترحها على الفرنسيين. ويستقيل الجنرال شارل ديجول غداة خسارته في الاستفتاء وينسحب من الحياة السياسية وينصرف لكتابة مذكراته. وتوفي الجنرال في ٩ من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٠ قبل ٤٠ سنة من اليوم.

إنجازاته

وجه ديجول أول اهتماماته إلى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، وفي ٢٦/ ٨/ ١٩٤٠ انضمت تشاد إلى فرنسا الحرة، ثم الكاميرون، وتبعتها برازافيل ، وبعد انضمام الغابون فتحت أمام ديجول مجالات إفريقيا الواسعة، على الرغم من إخفاقه في ضم داكار على الأطلسي غربي إفريقيا، ثم عاد إلى لندن حيث سعى لإنشاء منظمة في قلب فرنسا لمقاومة الألمان، وتأسيس وكالة أنباء فرنسية وإصدار مجلة باسم فرنسا الحرة وجريدة سميت «فرنسا».

ومد ديجول بصره إلى سوريا ولبنان، وكانت السلطات الفرنسية فيهما تدين بالولاء لحكومة فيشي (مقر الحكومة الفرنسية بعد استسلام فرنسا)، وكان يقدر أن المحور إذا ربح الحرب فسيستولي على هذين البلدين، وإذا خسر فسيقعان تحت السيطرة البريطانية، فكتب إلى حكومة فيشي طالباً ضم القوات الفرنسية فيهما إلى فرنسا الحرة، فرفض الجنرال ويغان الطلب، ونادى بتنفيذ حكم الإعدام بديجول. ونجم عن المباحثات الفرنسية الألمانية السماح للطائرات الألمانية باستعمال القاعدتين الجويتين في دمشق وحلب، بعد قيام ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق، واتخذت ترتيبات دعمها بالمعدات والآليات عبر الحدود السورية. فاتفقت إرادة ديجول وبريطانيا على اجتياح سورية ولبنان، وفي ٨/ ٦/ ١٩٤١ اجتازت قوات بريطانيا وفرنسا الحرة الحدود السورية واللبنانية، تحت قيادة بريطانية، وتراجعت أمامها قوات حكومة فيشي بسبب استحالة نجدتها من فرنسا، وفي ٢١/ ٦/ ١٩٤١ دخلت قوات الحلفاء دمشق، وبعد مفاوضات مضنية تم الاتفاق بين بريطانيا وحكومة فيشي على إيقاف إطلاق النار، والسماح لمن شاء من الفرنسيين بالإبحار إلى حيث يريد.

أما في الشرق الأقصى فقد اصطدم ديجول بالتصرفات الأمريكية، وقال في مذكراته

أن الرئيس فرانكلين روزفلت يريد « أن تكون كلمته قانوناً على العالم »؛ وسع أن الرئيس الأمريكي أعلن في ١١/ ١١/ ١٩٤٤ قبول فرنسا الحرة في قائمة الدول المشمولة بقانون الإعارة والتأجير، فقد استولت القوات الأمريكية على جميع بواخر فرنسا الحرة الموجودة في الموانئ الأمريكية، ومع ذلك وافق ديجول على وضع المستعمرات الفرنسية في جنوبي شرقي آسيا تحت تصرف لحلفاء «شريطة أن يحترموا السيادة الفرنسية عليها».

وفي ربيع عام ١٩٤٢ استبدل اسم «فرنسا الحرة» تعبير «فرنسا المحاربة، أو المقاتلة».

تفرغ ديجول بعد ذلك إلى تشجيع المقاومة داخل فرنسا ومدها بالسلاح وإعداد الجيوش الفرنسية لتشترك في الإنزال الذي كان يحضر له في فرنسا وإنجلترا، وقد بدأت المقاومة تضرب تجمعات القوات الألمانية المحتلة، ووجه ديجول رسالة إذاعية جاء فيها « أن من حق الفرنسيين الطبيعي قتل الألمان»، وأنشئ مجلس في فرنسا ضم جميع زعماء المقاومة في جنوبي فرنسا، الذين أكدوا انضواءهم تحت لواء ديجول ، وكانوا يمدون الحلفاء بمعلومات دقيقة عن المنشآت العسكرية الألمانية على شواطئ الأطلسي وقواعد الغواصات، وقد تضخمت قوات المقاومة بتشجيع ديجول واشتركت في القتال إلى جانب الحلفاء الذين نزلوا في فرنسا في ٦/ ٦/ ١٩٤٤، كما خاضت المقاومة ضد الألمان معركة مريرة في باريس بتاريخ ١٩/ ٨/ ١٩٤٤، فسارعت الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال لوكلير (التي كانت تحت إمرة ديجول) إلى مساعدتها. وفي ٢٥/ ٨/ ١٩٤٤ تحررت باريس، وفي اليوم التالي وصل ديجول إلى باريس حيث استقبل كالفاتحين، وأعلن منها الحكومة الفرنسية المؤقتة برئاسته، وهكذا تعاونت الجيوش الفرنسية التي نزلت بقيادة ديجول مع الحلفاء، وساعدتها قوات المقاومة، مما أربك الألمان وجعل التحرير أسرع، بل وشاركت هذه الجيوش فيما بعد في التوغل داخل الأراضي الألمانية حتى استسلام الألمان نهائياً.

هذه المشاركة في القتال دعت الجنرال ديجول إلى المطالبة في ١٠/ ٩/ ١٩٤٥ بفصل الضفة اليسرى لنهر الراين (رينانيا) عن ألمانيا، ووضعها تحت إشراف فرنسا وبريطانيا

وبلجيكا وهولندا من الناحيتين الإستراتيجية والسياسية، وفصل منطقة الرور عن ألمانيا لتصبح منطقة دولية، وكان همه اجتناب خطر ألمانيا في المستقبل، ولذلك عقد حلفاً مع الاتحاد السوفييتي.

وفي أثناء رئاسة ديجول للحكومة المؤقتة، جرت أحداث خطيرة في سورية ولبنان، وكان الجنرال كاترو قد أعلن في ٢٧/ ٩/ ١٩٤١ استقلال سورية بالاتفاق مع ديجول وتأييد إنجلترا وضمانتها، وفي ٢١/ ١١/ ١٩٤١ أعلن استقلال لبنان، وكان ديجول يريد الوصول بهما إلى الاستقلال، ولكن شرط أن يحصل على ضمانات تحفظ مصالح فرنسا الاقتصادية والثقافية والإستراتيجية، وتحفظت الدولتان بشأنها خشية إعادة توطيد السيادة الفرنسية عليهما، ويبدو أن ديجول ، بعد تحرر فرنسا من الاحتلال الألماني، أراد العودة إلى السياسة الاستعمارية، فأرسل تعزيزات عسكرية إلى سورية ولبنان في ٢٠/ ٥/ ١٩٤٥، مما تسبب في قطع الدولتين مفاوضاتهما مع فرنسا، وكان مندوبها الجنرال بينه قد تقدم بطلبات ديجول إلى سورية، أبرزها احتفاظ فرنسا في سورية بقواعد بحرية وجوية وامتيازات اقتصادية وسياسية، فرفضها السوريون، وعاد ممثل فرنسا إلى ديجول الذي أعطاه التعليمات اللازمة، وبدأت الأسر الفرنسية تغادر سورية إلى لبنان، وكثرت الاشتباكات بين السوريين والقوات الفرنسية حتى كان يوم ٢٩/ ٥/ ١٩٤٥، حين هاجم الفرنسيون المجلس النيابي السوري، وقصفوا دمشق بالمدفعية والطيران، وانتشرت الثورة في جميع أنحاء سورية وعم الغضب البلاد العربية، وتحدثت بعض الأنباء عن حشد قوات عراقية على الحدود السورية، وهنا تدخلت بريطانيا، ووجه رئيس وزرائها إنذاراً إلى ديجول يعلن فيه أنه أمر القائد العام بالشرق الأوسط بالتدخل لوقف سفك الدماء، وطلب منه أن يأمر حالاً القوات الفرنسية بوقف إطلاق النار والانسحاب إلى ثكناتها لئلا تصطدم بالقوات البريطانية، ولما وردت مذكرة احتجاج سوفييتية وأخرى أمريكية بسبب أحداث سورية اضطر ديجول إلى إصدار الأوامر للقوات الفرنسية بالانسحاب، وانتهى الأمر باتفاق فرنسي ـ إنجليزي على جلاء الطرفين عن سورية ولبنان.

وكان ديجول يزاول الحكم في الحكومة المؤقتة بعقلية رئاسية، فلما بدأ التذمر في صفوف الشعب الفرنسي، أجرى ديجول استفتاء عاماً أسفر عن إيثار الشعب لحكم

نيابي، فاستقال من منصبه سنة ١٩٤٦ واعتزل السياسة.

وعندما نشبت الثورة الجزائرية، وأصبحت تكلف الميزانية الفرنسية ٧٧٠ مليار فرنك فرنسي سنوياً، وأجبرت فرنسا على الاحتفاظ بـ ٧٠٠ ألف جندي فرنسي في الجزائر لمجابهة تلك الثورة العظمى التي بدأت تؤثر في الحكومة الفرنسية في باريس نفسها، مالت هذه الحكومة إلى إعادة النظر بسياستها العسكرية، مما أثار نقمة المستوطنين المتطرفين في الجزائر، وفي ١٣/ ٥/ ١٩٥٨ قامت فرقة المظلات بالجزائر بانقلاب أدى إلى عودة ديجول إلى الحكم، وأعطاه الانقلابيين سلطات واسعة واستثنائية.

لم يتسرع ديجول في جمع السلطات بين يديه كي لا يكون أداة طيعة للانقلابيين، بل مال إلى الحصول على موافقة الجمعية الوطنية الفرنسية على ذلك، وتقدم بمشروع دستور (للجمهورية الخامسة) يعطي أقاليم الاتحاد الفرنسي في إفريقيا حق تقرير المصير.

عمدت العناصر اليمينية المتطرفة مرة أخرى إلى التمرد الذي قاده ضباط كبار، وهنا اتجه ديجول إلى الرأي العام الفرنسي، واتخذ التدابير اللازمة لقمع حركة المتمردين الفرنسيين بالجزائر، مما اضطر قادة الانقلاب إلى الفرار. وانتهى الأمر باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر سنة ١٩٦٢، وانسحابها نهائياً من ذلك البلد العربي المكافح الذي قدم مليون شهيد.

وكان ديجول قد تولى رئاسة الجمهورية في ٨/ ١/ ١٩٥٩ بعد انتخابات عامة، وفي ١٩/ ١٢/ ١٩٦٥ أعيد انتخابه، وهكذا حكم فرنسا لفترتين رئاسيتين متواليتين، كانت سياسته خلالهما تتلخص في المطالبة بالعودة إلى اعتماد الذهب كقاعدة في المعاملات الدولية، ونقل مقر قيادة حلف الأطلسي من باريس، ثم قام بالانسحاب من الالتزامات العسكرية الأطلسية ١٩٦٦-١٩٦٧ واعتمد سياسة التقارب مع ألمانيا، ومع الاتحاد السوفييتي، فزار موسكو بتاريخ ١٣/ ٦/ ١٩٦٦، وطالب بعقد مؤتمر دولي لإعادة التوازن في منظمة الأمم المتحدة، كما طالب بحل مشكلة فيتنام سلمياً متهماً الولايات المتحدة بالتدخل غير المشروع بالشرق الأقصى.

وفي تموز ١٩٦٦ زار إثيوبيا وكمبوديا، وعمل على استبعاد بريطانيا من السوق

الأوربية المشتركة (لأنها رأس جسر أمريكي في أوربا)، واعترف بالصين الشعبية، وأقام علاقات جيدة مع بعض دول العالم الثالث، واستنكر العدوان الصهيوني على البلاد العربية سنة ١٩٦٧، وبعد هجوم صهيوني على مطار بيروت أصدر قراراً بمنع إمداد إسرائيل بالأسلحة الفرنسية، كما شجع إقامة قوة نووية فرنسية ضاربة رفعت فرنسا إلى مصاف الدول النووية العظمى، واتجهت فرنسا في عهده إلى الازدهار الاقتصادي، وعلى الرغم من كل ذلك أدت سياسة ديجول الداخلية إلى تذمر في صفوف الطلاب ثم العمال، وبعد اضطرابات أيار ١٩٦٨، أجرى استفتاء على سياسته الشخصية فكانت نتيجته غير مؤيدة له، فاستقال في ٢٨/ ٤/ ١٩٦٩.

ديجول والشعب الفرنسي

ينظر الفرنسيون إلى شارل ديجول إلى أنه الأب الروحي للجمهورية الفرنسة الخامسة، ويرجع الكثير من الفرنسيين الفضل إلى الجنرال ديجول في استقلال بلادهم من الجيوش النازية أثناء الحرب العالمية الثانية إذ لم يتوقف وهو في لندن من إطلاق الشعارات التي كانت تلهب قلوب الفرنسيين وتدفعهم إلى المقاومة، ومن أشهر نداءاته «أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة لكننا لم نخسر الحرب وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره». وينعكس تقدير هذا الرجل بشكل واضح في العاصمة باريس إذ تم تسمية العديد من المرافق الحيوية باسم الجنرال مثل (المطار، الشوارع، المتاحف ومحطات القطارات).

صفاته

كان شارل ديجول طويل القامة، قوي الشكيمة، يؤمن بعظمة فرنسا، وقد سعى طيلة توليه الحكم بين ١٩٥٨-١٩٦٩ لتوطيد مركزها دولة عظمى، كان في شبابه يؤمن بالقوة كحل لكل شيء، وكان الرئيس روزفلت يتحاشى الاعتماد عليه «بسبب طباعه الاستبدادية». تدرب في مطلع حياته العسكرية على نهج المارشال بيتان الذي «علمه فنون القيادة وجبروتها» كما يقول في مذكراته، فلما استلم دفة الحكم حاول إقامة حكم رئاسي، ولكن الاستفتاء الشعبي خذله، ويظهر أنه أصبح مع الزمان يؤمن بالمفاوضات والحلول السلمية، ويرضى بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

كل هذا وغيره، وخاصة خلال رئاسته للجمهورية بين ١٩٥٩ و١٩٦٩، جعل لديجول مكانة تاريخية مرموقة، أدت إلى تأليف حزب فرنسي يستند إلى أفكار ديجول ومبادئه، حمل أخيراً اسم «التجمع من أجل الجمهورية»، لأن ديجول لم يكن يوافق على استخدام اسمه لأي تنظيم سياسي، وقد حاول شيراك، الذي أصبح رئيساً للوزارة الفرنسية في عهد الرئيس فاليري جسكار ديستان، والرئيس فرانسوا ميتران، ثم أصبح رئيساً للجمهورية الفرنسية في آخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، حاول إحياء مبادئ ديجول والسير على نهجه، خصوصاً في توطيد مكانة فرنسا في أوروبا والعالم والتقارب مع ألمانيا وروسيا واحترام حرية الشعوب وغيرها من المبادئ الديجولية المعروفة.